فـن الـمـوسـيقـا

د. امحمد البشيري
كلية الفنون والإعلام – جامعة الفاتح

استعمل المؤلفون العرب كلمة (أنغام) و(نغم) قبل أن يستعملوا كلمة (موسيقا) في كتبهم للدلالة على فن الألحان.

غير أننا في الوقت الحاضر نستعمل كلمة (موسيقا) بدلاً من كلمة (نغم) وعند تفسيرنا للعلوم الموسيقية في أي بحث أو دراسة فإننا كثيراً ما نستخدم كلمة (أنغام) العربية للدلالة على فن الإلحان.

ويعتقد العلماء بأن كلمة (الموسيقا) يونانية الأصل وقد كانت تعني سابقاً الفنون عموماً، غير أن هذه التسمية انفردت فيما بعد وأصبحت تطلق على لغة الإلحان فقط، وهي (الموسيقا) وتعتبر الموسيقا من أكثر الفنون الجميلة التي اهتم بها اليونانيون القدماء (فقد مجدوها إلي حد العبادة) [1]

وكان من الضروري علي أهالي المدن الكبرى اليونانية التعلم على عزف المزمار المزدوج (الالوس) كما يخبرنا بذلك الفيلسوف اليوناني (أ{ستكسيتوس)[2].

وقد عرفت لفظة (موسيقا) بأنها: فن الألحان وهي صناعة تبحث عن تنظيم الأنغام والعلاقات فيما بينها، وعن إيقاعها وأوزانها، وأن الموسيقا علم رياضي يبحث عن طبيعة النغم من حيث الاتفاق والتنافر وطبيعة الأزمنة.

الصوت الموسيقي هو الصوت ذو الذبذبات المنتظمة في الثانية الواحدة، ويمكن تقليده من قبل الحنجرة البشرية أو الآلة الموسيقية

---

[1] الموسوعة الموسيقية – القسم النظري – ص : 30
[2] ارستكسيتوس – فيلسوف يوناني وعالم موسيقا ظهر سنة 320 ق.م وهو من تلاميذ ارسطو.

والمقصود بالذبذبات المنتظمة هي تلك الأصوات التي لها درجة ارتفاع وانخفاض وشدة ولون وطول المدة الزمنية التي تستغرقها هذه الأصوات، علماً بأن الخواص الطبيعية للصوت الموسيقي لا تتغير مدته الزمنية، ولكل من الخواص الطبيعية والمدة الزمنية أثر مهم في الصوت الموسيقي.

إن عدد الاهتزازات الكاملة التي يحدثها الجسم المهتز في الثانية الواحدة يسمي التردد، وكلما زاد عدد الاهتزازات أو الذبذبات التي يحدثها الجسم المهتز في الثانية الواحدة قل التردد وزاد الصوت الناجم عن هذه الاهتزازات غلظا.

علـم الموسيقـا

إن علم الموسيقا من العلوم الطبيعية المبنية على القواعد الرياضية، هو ترتيب وتعاقب الأصوات المختلفة الدرجة، المؤتلفة المتناسبة بحيث تتقرب منها الألحان التي تستعيغها الأذن مبينة على موازين موسيقية متنوعة، أما قياسات الأبعاد الموسيقية الموجودة بين درجات السلم الموسيقي والعلاقة القائمة بينها فإنها تعتمد على جداول رياضية معلومة، أن الأصوات المنتظمة ناتجة عن اهتزاز أجسام صلبة وهوائية بدرجات معينة يمكن حسابها على نحو رياضي دقيق وهذا ما يطلق عليه (فيزيائية الموسيقا).

ثم إن علم الفيزياء يدخل في كثير من المصانع التي تقوم بصناعة الآلات الموسيقية وموادها الاحتياطية، وكذلك يعتمد العاملون في المختبرات الموسيقية على علم الفيزياء لفحص تلك الأصوات وتقدير صلاحيتها للعمل وهناك جداول فيزائية تعطي مقدار الذبذبات الصوتية وهذه الأصوات تسمي (الأصوات الموسيقية، أو النغمات)[1].

لدرجات أن السلالم الموسيقية أم الكيمياء فهي أيضاً تدخل في صناعة عدد من المواد الموسيقية كالأوتار وشد الأقواس وغيرها من الآلات الإلكترونية التي تستخدم مقومات ومكثفات في تركيب أجزائها.

[1] سليم الحلو – الموسيقا النظرية – دار مكتبة الحياة – بيروت 1972-ص:15

الموسيقـا فـن :-

الموسيقا من الفنون الجميلة، وقد تأثرت بجميع الفنون كما أنها أثرت فيها ولعبت الفنون عموماً دوراً حضارياً مهما في حياة الإنسان وفي كثير من المجتمعات البدائية ساهمت الفنون التشكيلية والفنون الموسيقية بدور فاعل في الحياة اليومية، ربما كان أكبر من دورها في بعض المراحل المتقدمة من الحضارات ولقد ارتبط فن النحت بصناعة الأواني وفن الرسم بصناعة الملابس وفن الموسيقا بالنواحي الدينية والدنيوية ومنها التربوية والعلاجية، ولذلك كان للفنون بصفة عامة دور وظيفي أكبر بكثير من الزينة والترفيه حتى صارت جزءاً من الممارسات اليومية للإنسان.

لغـة الموسيقـا :-

الموسيقا لغة غير أنها لغة كل الشعوب، وتختلف من مكان إلي آخر حسب اختلاف الشعوب، ولكنها من حيث أسسها واحدة في كل مكان كونها تنسيق الأصوات بطريقة محببة للأذن، وهي من حيث أصولها مرتبطة بمعتقدات الإنسان وطباعه، وهي لغة الروح والمشاعر والخواطر، وهي تنقسم إلي عدة لغات متباينة في تقنياتها ومفاهميها الجمالية والتربوية، وأن لكل منها خصائص تكمن في المادة الموسيقية ذاتها، من حيث الأبعاد الموسيقية وتكويناتها – المقامات – الزخارف – وحدة اللحن أو تعدده – تنظيم الإيقاعات وأنواعها أشكال التلحين – تقنيات الآداء الصوتي والآلي وسائل التعليم الشفهي أو المكتوب الآلات الموسيقية الوظيفية الاجتماعية كل ذلك يلعب دوراً مهما في تحديد نوع اللغة الموسيقية وانتهائها إلي هذا الشعب أو ذاك وعند سماعنا لموسيقا متنوعة فإنه من الممكن أن نميز بان هذه الموسيقا أو تلك الأغنية عربية أو هندية أو صينية.

كون هذه الموسيقا تعطي صفات معينة تدل على أماكن وجودها في العالم، وهذه اللغة الموسيقية تكتب على السلم الموسيقي الذي وضعه (فيثاغوراس)[1].

---

[1] يوسف عيد : الفنون الأندلسية وأثرها في أوربا القروسطية، دار الفكر اللبناني.

الصـــــوت ومـــصـــادره :-

الموسيقا فن من الفنون الجمالية سهلة الانتشار بين الناس، وقد توارثها الإنسان عبر الأجيال منذ أقدم الأزمان وهي تنطلق من مصدرين رئيسين، أحدهما: طبيعي كالصوت الصادر عن الطبيعة من نبات أو جماد وثانيهما: اصطناعي وهو الصوت الصادر عن الآلات الموسيقية، وقد حاول الإنسان أن يقلد الأصوات الطبيعية التي فقدها، في البداية بواسطة فمه إذ صار يطبق أصواتا شبيهة بتلك الأصوات التي يسمعها وبذلك عدت الحنجرة البشرية أول أداة موسيقية عرفها واستعملها الإنسان تم قلد الإنسان الطبيعة فيما بعد عن طريق الآلات بدائية كان من بينها القصب والعظام التي استخدمها عن طريق النفخ فيها لإصدار الأصوات التي يرغبها.

وهكذا كلما تطورت حياة الإنسان تطورت آلاته التي يستخدمها ومنها الآلات التي ينطلق منها الصوت، والتي سميت بعد ذلك بالآلات الموسيقية بجميع أشكالها وصيغها وأحجامها، واستطاع أن يضبط زمن هذه الأصوات من حيث القصر أو الطول واخترع لذلك آلة قياس سرعة الصوت (المترونوم)[1].

المـوســيقـا والــتربــيــة :-

الحضارة الإنسانية ومن دعائمها الأساسية: الفنون، ومن ضمن هذه الفنون فن الموسيقا وما حققه هذا الفن من إبداع ساهم في تعميق مشاعر الناس وسمو نظرتهم إلي الوجود والموسيقا: غاية تقصد لذاتها ووثيقة إنسانية مهمة تتمسك بها الشعوب بالرغم من الاختلافات الكثيرة الموجودة بينها من لغة ولون وثقافة ودين وطرق معيشة، وفي هذا لم تكن التربية الموسيقية حديثة العهد في نظم التعليم حيث بدأ الاهتمام بالموسيقا منذ العصور القديمة، وعند الرجوع لحضارة وادي الرافدين منذ العهد السومري أو أقدم من ذلك لوجدنا أن الموسيقا لها أثر فعال في بناء تلك الحضارة والحضارات التي جاءت بعدها وقد أكد فلاسفة العرب علي أهمية الموسيقا في التربية لارتباطها بالحواس الإنسانية، وقد وأكدوا أيضا بأن الطفل يولد

---

[1] المترونوم : آلة اوجدها الألماني – ليونارد مايلتسل – توفي سنة 19850م في فينا.

وهو مزود باستعدادات أهلته بها الطبيعة لكي تعينيه على مواجهة الحياة ومن المهام الرئيسية للتربية أن تنمي ذلك الاستعداد إلي أقصي حد ممكن والرقي بالمستوي الفردي والاجتماعي للجميع عن طريق تنمية استعدادات الطفل ومواهبه الخاصة، كما جاء عبر مؤلفات ابن خلدون والكندي وإخوان الصفا وغيرهم ونجد في الحضارة اليونانية القديمة اهتماماً كبيراً لدى فلاسفتهم ومفكريهم بالقيمة الجمالية والشكلية للتدريب الموسيقي أثناء عملية تربية الطفل وتعليمه ومن هؤلاء الفلاسفة (أفلاطون) الذي وضع التربية الموسيقية ذاتها في مكانه رفيعة ضمن النظام التربوي، وكان هذا أيضاً رأي (أرسطو) حول القيمة التربوية العالية للموسيقا، وإذا ألقينا نظرة تاريخية على الحضارة الرومانية وخصوصاً الجانب التربوي منها نلاحظ أن المنهج المدرسي قد احتوى على ما يسمي بالفنون السبعة، وهي :- القواعد اللغوية – المنطق – البلاغة – الرياضيات – الموسيقا – الفلك – الهندسة.

ومن خلال الدراسة لهذا المنهج التربوي نجد أن الدور الذي كانت تلعبه الموسيقا في المنهج المدرسي دور بالغ الأهمية وبمستوي الدروس التربوية الأخرى، ومن هذا كله يتضح بأن للموسيقا أثراً فعالاً في تكوين الإنسان جسيماً ونفسياً وعقلياً.

أهـــمـــيـة الـــتربـيـة المـوسـيـقـيـة :-

يعتقد عدد من الناس ومنهم الموسيقيون الممارسون أننا نغني التربية الموسيقية في المدرسة أي داخل الأطر التعليمية، وهذا خطأ لابد لنا من تصحيحه وعلينا أن نفرق بين التربية الموسيقية التي تهدف إلي تكوين فنانين مبدعين داخل المدارس والمعاهد والأكاديميات الموسيقية المتخصصة أو غير المتخصصة والتربية الموسيقية التي تهدف إلي التثقيف والتوعية الموسيقية ضمن التكوين العام للإنسان.

تبدأ التربية الموسيقية عند الإنسان وهو ما يزال جنيناً وتستمر ما دام الإنسان حياً إذ يتعرض الفرد منا في الحياة اليومية عن طريق وسائل البث العامة ووسائل التنقل الحديثة إلي سماع كثير من الموسيقى لمن يرغب ولمن لم يرغب في ذلك، فأصبح الإنسان ذو السمع المرهف بأمس الحاجة إلي الدفاع عن حريته في الانتقاء ما يروقه سماعه وما لا يرغب في الاستماع إليه.

عن مجرد عملية السماع في حد ذاتها هي تربية موسيقية غير مباشرة، ولذلك تلعب دوراً كبيراً في تكوين الذوق الجمالي الإنساني، ويمكننا تحديد المراحل المتعددة المسؤولية عن صياغة المعرفة الجمالية لكل منها مرحلة خاصة بها.

أ – ضمن إطار المدرسة :-

سواء أكان ذلك ضمن إطار التعليم الموسيقي في المدارس العامة أم المدارس التخصصية.

ب-خارج إطار المدرسة :-

وهنا تبدأ عملية التربية الموسيقية في البيت وتلعب العائلة والبيئة الاجتماعية دوراً فعالاً في تنمية الذوق الموسيقي الجمالي للطفل حتى انتسابه إلي المدرسة، إضافة إلي العائلة والبيئة الاجتماعية هناك التربية الموسيقية عبر وسائل الإعلام المسموعة والمرئية والمقروءة من صحف ومجلات وكتب موسيقية، كل هذه الوسائل تلعب دوراً مهما في تنمية الذوق الموسيقي عن طريق ما تقدمه من نتاجات غنائية وموسقية وبرامج موسيقية متنوعة ومقالات وأحاديث وبحوث ودراسات في الموسيقا والتي تسهم كلها في تنمية الحس الموسيقا الجمالي ثم إن المهرجان والحفلات الموسيقية والغنائية التي تقدم في المسارح وغيرها وبجميع صيغها وأنواعها لها أثر فعال في تكوين نوع معين من التذوق الموسيقى ولا ننسي أننا كثيراً ما نسير في الشارع ونسمع بطريقة مباشرة أو غير مباشرة الأغاني والموسيقا وهذه أيضاً تعد من وسائل أو أدوات التربية الموسيقية.

ج – ضمن عملية التدريس :-

عبر مراحل التربية الموسيقية التراثية الشفاهية والتي كانت معروفة منذ أقدم العصور تتم الدراسة هنا بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، إذ على المتعلم أن يرافق أستاذة ويتعلم صنعته في الغناء أو في العزف عن طريق المراقبة الدقيقة والاستماع الأدق، وإن كان المتعلم من الموهوبين نراه يخطي بتقدير أستاذه الذي يعلمه سر صنعته ليتابع من بعده استمرارية نهج أستاذه بكل جد واهتمام، وقد اكتسبت الأجيال كثيراً من المهارة الغنائية

وحفظ مجموعة لا بأس بها من أغاني التراث الشعبي القديمة الجميلة عن طريق التعليم الشفهي.

وتشكل التربية الموسيقية ركنا مهما في بناء حضارة وثقافة كل بلد فتكون موسيقا ذلك البلد عنصراً مميزاً من عناصر حضارته وثقافته وفكره لذلك تستمد التربية الموسيقية موضوعاتها مباشرة من التراث لتوطيد الهوية الموسيقية عند الإنسان وبعث روح الفخر والاعتزاز عند الفرد ومنها إلي مرحلة تذوق وعيش جمال موسيقي وطنه وأمته ومن ثم التخصص في ممارستها محافظاً على استمرار بينها وبينه وعندها تتحقق الكفاءة لدى الفرد للتميز بين الأصيل الجيد من بين النتاجات الموسيقية المتنوعة، وللتربية الموسيقية أهمية كبرى لاتصالها المباشر بمرافق المجتمع والحياة اليومية للفرد، وكما نتعلم منذ ولادتنا في البيت والمجتمع والمدرسة لغة هي لغتنا الأم أو لا ومن تم يمكن تعلم لغات أجنبية فالأمر عينة في قطاع التربية الموسيقية إذ علينا أو لا أن نتعلم تراثنا وأدائه بطريقة علمية جيدة ومن بعد ذلك ننطلق إلي تعلم موسيقا العالم الآخر الذي نعيش معه على نفس كوكب الأرض

المـــراجـــع

1- الموسوعة الموسيقية الشاملة القسم النظري – د. يوسف عيد – انطوان عكاري – دار الفكر اللبناني – 1994.

2- قوالب موسيقية آلية للمصاحبة بآلة البيانو – د. عباس السباعي – طباعة آفاق للحاسوب – الخرطوم – 2002.

3- عالم الموسيقيين – إعداد : جورج مدبك – دار الراتب الجامعية – بيروت – لبنان – 1993.

4- أناشيد مالدورو – ترجمة سمير بالحاج شاهدين – المؤسسة العربية للنشر – 1982.

5- اسنيدالوس واثينا – جور تومسن – ترجمة د.جواد الكاظم – وزارة الأعلام – بغداد

6- سليم اكلو – الموسيقا النظرية – دار مكتبة الحياة – بيروت 1972.

7- يوسف عيد – الفنون الأندلسية وأثرها في أوروبا القروسطية – دار الفكر اللبناني